آلام يسوع

«وَجَاءُوا بِهِ إِلَى مَوْضِعِ «جُلْجُثَةَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ مَوْضِعُ «جُمْجُمَةٍ».
وَأَعْطَوْهُ خَمْرًا مَمْزُوجَةً بِمُرّ لِيَشْرَبَ، فَلَمْ يَقْبَلْ.
وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا ...» (مرقس ١٥: ٢٢-٢٤).

بقلم: ادي كلور

لا تقدم الأسفار المقدسة أشياء سلبية عن الصلب. أعلن متى ومرقس ولوقا ببساطة وقوع هذا الحدث، ولكنهم لم يصفوه. كتب مرقس قائلاً: «وَلَمَّا صَلَبُوهُ ...» (مرقس ١٥: ٢٤)، بينما أضاف لوقا كلمة «هُنَاكَ» {«صَلَبُوهُ هُنَاكَ»} (لوقا ٢٣: ٣٣). أما متى ويوحنا فألقوا عليه نظرة خلفية خاطفة. قال يوحنا «لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ» (يوحنا ١٩: ٢٣؛ أنظر متى ٢٧: ٣٥). ان تحفظ الأسفار المقدسة عن عملية صلب يسوع شيء جدير بالملاحظة. كاد أن يكون هذا وكأنه قد تم تجاهل اللحظة التي صلب فيها يسوع. لقد تخطى كُتَّاب الإنجيل تفاصيل عملية الصلب بسرعة ليتحدثوا عما حدث بينما كان الرب معلقاً على الصليب.

ربما أخذ الرومان وسيلة الاعدام البشعة هذه عن القرطاجيين. وحشية الصلب تجعل حتى الرومان يرتعدون عند التفكير به. كان ذلك مخصص للعبيد وللذين لا يتمتعون بامتيازات المواطنة الرومانية. كان التعذيب فظيع جداً بحيث أدى إلى وجود كلمة جديدة في معجم المفردات في ذلك الزمان. أسموه «كروسياتوس cruciatus» وهي كلمة لاتينية تبدو انها من أصل الكلمة «كروكس crux» ومعناها «صليب». ومنها أتت الكلمة الإنجليزية «اكسكروشياتينق excruciating» {أي عذاب جسدي ونفسي كبيرين}.

يصعب معرفة تفاصيل الكيفية التي صلب بها يسوع، لأنه لم يرد الكثير عن عملية صلبه في كتاب العهد الجديد ولأن الصلب كان يتم بعدة طرق في العالم القديم. تعطي الدلائل غير الكتابية أربعة أنواع رئيسية للصلب. النوع الأول والأقل استخداماً هو الذي بشكل عمود قائم والذي يتم تسمير جسد السجين عليه. نحن على يقين أن يسوع لم يصلب بهذه الكيفية. الأنواع الثلاثة الأخرى هي الصليب الذي بشكل «X» والمعروف بـ«صليب أندراوس»، والصليب الذي هو على شكل «T»، والمعروف بـ«صليب أنطوني»، ثم الصليب على شكل «علامة زائد» («+») والمعروف (بصليب المسيحيين). يشير كتاب العهد الجديد بطريقة غير مباشرة إلى الصليب الذي بشكل «علامة زائد» بانه النوع الذي صلب عليه يسوع. ذكر كُتَّاب الإنجيل كلهم أن بيلاطس وضع لافتة مكتوب عليه ما قاله يسوع عن نفسه وهو ما أدى إلى صلبه. يقول متى ولوقا أن تلك اللافتة كانت موضوعة فوق رأسه. لا يوجد في الصليب الذي على شكل «X» ولا الذي على شكل «T» عمود في الوسط ممتد فوق موضع الرأس. إذن لما كانت هناك طريقة لوضع تلك اللافتة فوق رأس يسوع لو كان قد أستخدم أي من هذين النوعين من الصليب (متى ٢٧: ٣٧).

تُربط قدمي المحكوم عليه على الصليب أحياناً، وتُسمران أحياناً أخرى. وفي حالات أخرى تُسمر اليدين أو الرسغين وتُربط القدمين، أو تُربط اليدين والذراعين وتُسمر القدمين. أما في حالة يسوع فواضح انه سمرت يديه (يوحنا ٢٠: ٢٠) وقدميه (لوقا ٢٤: ٣٩) ولأنه بعد قيامته قدم يديه وقدميه كإثبات لقيامته من الأموات. ربما تم تسمير يديه في الجزء الأعلى منهما أو في الرسغين لكي لا يسحب ثقله يديه من الصليب. ربما وضعت قدميه فوق بعضهما وسمرت بمسمار واحد كبير.

تم اكتشاف دليل على أحد طرق الصلب في سنة ١٩٦٨ عندما تم العثور على معظمة {أي صندوق لحفظ عظام الموتى} في مقبرة يهودية قرب أورشليم. وكانت تحتوي على عظام شخص كان قد صُلب اسمه يوهانيان بن هقغول، وكان هذا الاسم منحوت على جانب المعظمة. توضح هذه الجثة وجود مسمار (باقي في مكانه) كان قد سمر من خلال عقبي قدميه.

كان الجزء المميت من الصلب هو عادة الاختناق من قلة الإكسجين. كان تنفس المصلوب أمراً صعباً للغاية. يستطيع الشهيق ولكن الزفير لم يكن سهلاً. يُوضع عند منتصف الصليب أحياناً نوع من مقعد أو مسند من أجل إطالة المعاناة. والاتكاء على هذا المسند الصغير يخفف للمصلوب ثقله على يديه، فيستطيع التنفس بأكثر سهولة. وهذا يزيد من إطالة مدة إبقاء المصلوب على الصليب، الى أن يموت من النزف والعطش. لا نعلم ما إذا كان بصليب يسوع مثل هذا المسند في وسطه أم لا.

مع أن العهد الجديد لا يخبرنا بالكثير عن عملية صلب يسوع، إلا انه يعطينا ما يكفي من المعلومات عن أسباب صلبه. يقول انه كان عليه أن يحتمل غضب الإنسان ضد الحق. الذين صلبوا يسوع كانوا بالحقيقة رجال الدين الذين لم يقبلوا الحق الذي من الله. كان لديهم الهيكل ومناصب النفوذ وطريقة حياتهم والسلطة. لقد اكتفوا بما كانوا يريدون في هذه الحياة، ولم يريدون الازعاج أو فقدان ذلك. فكروا في عمل بعض التغييرات ليعيشوا بحسب طريق الحق الذي حولهم إلى جماعة بلا ضمير يطالبون بأصوات الشر أن يُصلب ابن الله. أصبحوا عديمي الاحساس وغليظي القلوب، ومتمردين ومتوحشين. الضرب بالسياط لم يكن كافياً حسب اعتقادهم. صرخوا بإصرار انه ينبغي صلب يسوع حتى منحهم بيلاطس ما كانوا يبغون عكس ما حكم به عليه. وقفوا عند الصليب ووبخوا يسوع بطريقة ساخرة وهو يموت. أما يسوع فتألم طوعاً بغضب الناس المصبوب عليه.

تعلمنا الأسفار المقدسة أيضاً بانه عندما مات يسوع على الصليب حمل غضب جهنم على البر. أحاطت معركة العصور بالصليب: أشتبك الحق مع الشر في قتال عنيف لم يفهمه العالم، وربما لا يفهمه حتى في يومنا هذا. بدأت النبوءات المختصة بهذه الأحداث في سفر التكوين ٣: ١٥: «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». فعل إبليس والشياطين كل ما باستطاعتهم فعله خلال حياة يسوع على الأرض لكي يمنعوا موت يسوع الذي كان من أجل خطايا العالم. ترى أعمالهم بصفة خاصة في تجارب يسوع في البرية وفي صراعه في بستان جثسيماني وفي المحاكمات التي أدت إلى صلبه، وفي إذلال الصليب. لقد وضع أعداء البر أمامه أسوأ وسيلة للاعدام استطاعوا تدبيرها، وملأوها بدمه والألم والسخرية. وأشبعوها بكل خبث وكل ما هو معذب، أما يسوع فعانى غضب جهنم بإخلاص.

يوضح العهد الجديد أيضاً أن يسوع اختبر في موته غضب السماء ضد الخطيئة. بالإضافة إلى العبء الجسدي والألم المرئي، احتمل يسوع أيضاً عبء روحي لا يتصوره أحد. ما حمله على نفسه عند آلامه يسمو على الإنسان كما يسمو السماء على الأرض. قال بطرس انه «حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ» (١ بطرس ٢: ٢٤). وكتب إشعياء النبي عن موته في هذه النبؤة: «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إشعياء ٥٣: ٥). ربما الصورة الأكثر وضوحاً لما حدث لم ترد في سفر إشعياء ولا في الإناجيل، بل في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس حيث قال «لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ الله فِيهِ» (٢ كورنثوس ٥: ٢١). لقد أصبح يسوع خطيئة لأجلنا بطريقة بعيدة عن فهمنا. استخدم يوحنا كلمة كبيرة لوصف ذلك، وهي «كفارة» ومعنى هذه الكلمة هي «استرضاء غضب الله على الخطيئة». كتب يوحنا قائلاً: «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا» (١ يوحنا ٢: ٢). حتى وإن لا نستطيع تصورَ كل ما يخبرنا به العهد الجديد عن موته، إلا اننا نستطيع أن نرى من خلاله أن يسوع حمل غضب السماء على الخطيئة عندما مات على الصليب.

ليس من الضرورة أن نفهم العمل الإلهي فهماً كاملاً قبل ما نؤمن به تماماً. نحن لا نعرف كيف خلق الله الأرض، ولكننا نؤمن انه هو الذي خلقها. لا يستطيع أحداً منا أن يوضح كيف صنع يسوع معجزاته، ولكننا نؤمن انه هو الذي صنعها. لا يستطيع أحد أن يفسر بطريقة علمية الكيفية التي قام بها يسوع من الموت، ولكن لا بد

أن نقبل شهادة العهد الجديد عن قيامته. من يستطيع أن يوضح لنا الكيفية التي صعد بها يسوع إلى الآب؟ لا نستطيع تفسير ما حدث ولكننا نقبل ما تقوله كلمة الله عن ذلك. نحن نؤمن بكل هذه الحقائق لأنه قد تم تتمة الكشف عنها في الأسفار المقدسة. ينطبق هذا أيضاً على الصليب. هل نفهم كيف حمل ذنوبنا على تلك الخشبة؟ كلا. هل نؤمن انه حمل خطايانا عند الصليب؟ نعم حقاً. نحضن هذا الحق في قلوبنا بالإيمان لأن هذا ما تؤكده الأسفار المقدسة بوضوح.

❖-❖-❖-❖-❖

«فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ» (١ كورنثوس ١٥: ٣). «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا» (غلاطية ١: ٤). «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ» (١ يوحنا ٣: ٥).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩